إبراهيم نصر الله

بسم الأمّ والابن

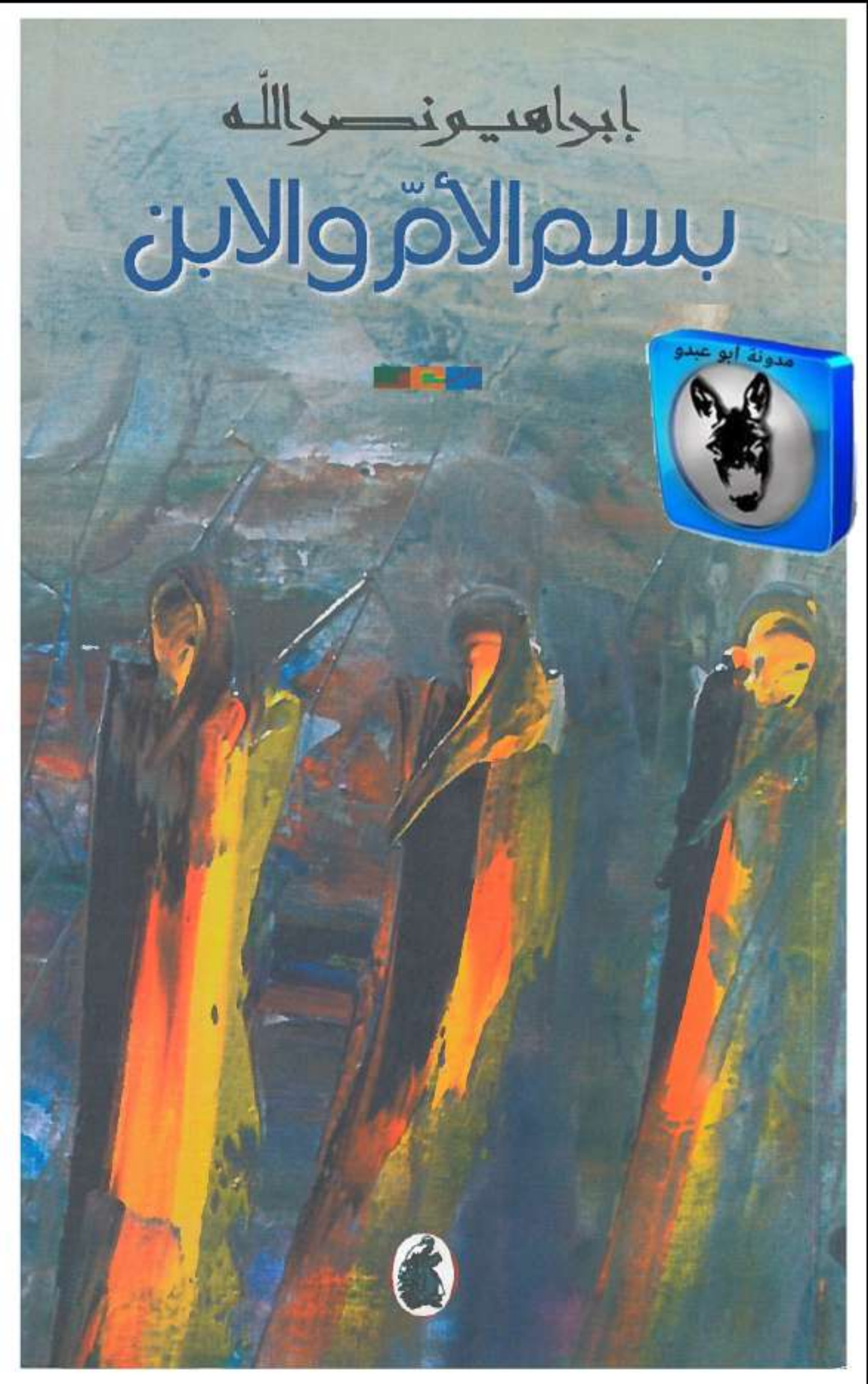

يعيد هذا الديوان القصيدة العربية إلى الناس على مستويين، الأول لأنه يفتح بابا عريضا مشرعا على جانب خفي حميم ومهمش من حياتهم، عبر رصد حياة أم بسيطة وأب بسيط، وطبيعة العلاقة بينهما، وهما هنا والدة ووالد الشاعر، هذه العلاقة التي تبدو مع ما يشبهها من علاقات وأنماط، جانبا مهملا ومقصيا وخارج اهتمام الشعر، أما المستوى الثاني فإنه يتمثل في إعادة الشعر نفسه للبشر، بعيدا عن التهويم والأوهام التي غربت كثيرا من الأعمال الشعرية العربية في العقدين الماضيين.

وإذا كان موت الأب يلعب هنا دورا في إعادة فتح أسئلة الوجود، فإن أسئلة الأم تفتح جراح الأحاسيس المغيبة، التي يتم التعامل معها كما لو انها غير موجودة، وأسئلة منفى امتد عمره نصف قرن.

أهمية هذا العمل الشعري أنه يعود ليمحو الصورة المختزلة حتى حدود التجريد، لخلق الله البسطاء الطيبين، وليذكرنا أن لهم حبهم وشغفهم وعذاباتهم وأسرارهم، التي يتتبعها برفق هذا الديوان الذي قد يكون أول ديوان يكرس بأكمله لتلمس شخصية الأم من الداخل.

بسم الأمّ والابن

بسم الأمّ والابن / شعر عربيّ
إبراهيم نصر الله
الطبعة العربيّة الأولى ، ١٩٩٩
حقوق الطبع محفوظة

المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر
المركز الرئيسي :
بيروت ، سافية الجنزير ، بناية برج الكارلتون ،
ص. ب : ٥٤٦٠ ـ ١١ ، العنوان البرقي : موكيالي ،
هاتفاكس : ٨٠٧٩٠٠ / ٨٠٧٩٠١
التوزيع في الأردن :
دار الفارس للنشر والتوزيع
عمّان ، ص. ب :٩١٥٧ ، هاتف : ٥٦٠٥٤٣٢ ، هاتفاكس ٥٦٨٥٥٠١
E - mail : mkayyali @ nets. com. jo
تصميم الغلاف والإشراف الفنّي :
سمير سيفي®
لوحة الغلاف :
إبراهيم نصر الله

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أيّ جزء منه ، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات ، أو نقله بأيّ شكل من الأشكال ، دون إذن مسبق من الناشر.

إبراهيم نصر الله

بسم الأمّ والابن

إلى أمي .. ومنها ، إلى أبي ..

له حُلُمٌ من رغيفٍ ويومٌ من الصخرِ
هذا أبي
مثخنٌ برياح الصباح
ومشتعلٌ بالمحبةْ

من قصيدة قديمة

بســـم الأُم

حديثها عن عرسها

من بعيدٍ سمعتُ خطاكَ
عرفتُكَ من بينهم
حين جاءوا إلينا مساءً
وفي إثرهم شمسُهم
من بعيدٍ عرفتكَ
قلتُ لقلبي كلاماً كثيراً
ومرجحتُهُ في شحوبِ الظلامِ
وفي صمتِ خيمتنا الداكنةْ
كنتُ أضحكُ تنهرني عتمةٌ

ABOABBADO ALBABADO

ثم تصرخُ أمي اجلسي ساكنةْ

... ...

وقدمتُ شاياً لهم

فلمحتُكَ

كيف تصببَ بَرْدٌ على جبهتي

وعروقيَ ليس بها غيرُ سيلٍ من النارِ يجري.

وكيفَ وقفتُ أمامكَ ثانيتينِ

وأدركتُ أنيَ نهرٌ وأنكَ بحري.

قلتُ : قد جاءني زمنٌ

سوف أرتاحُ فيهِ

من الحزنِ

والليلِ

والتعبِ

وفي يوم عُرْسيَ قلتُ لأهلي

: هو الآن أهلي
وقلتُ لأُمي
: هو الآن أُمي .. أخي .. وأبي

ليس في دمعتي الآن شيءٌ سوى أنكَ الآنَ مُتَّ
ويتّمْتَ يا سندي سُحبي

ليس في دمعتي الآنَ شيءٌ
سوى
أنها عتبي

في حديثها عن يومها

في دروبِ الحصى
للجبالِ صعدنا
نفتشُ عن نصفِ جُحْرٍ
لنسترَ عرساً تفتَّحَ في ساحةٍ للبكاءْ
انتعلتُ حذاءً من الجيشِ
ثوبَ السَّوادِ
الذي لم يكن هكذا
مُذْ عرفتُ صبايَ هنالكَ بين النساءْ
على الرأسِ صُرَّةُ خبزٍ

لِـحـافٌ
وفَـرْشَةُ صوفٍ أتيتُ بها
حين قال أبي : سوف تكفيكِ
حتى عبورِ الشتاءْ
وحين أتوا بالخيامِ أبى أن تُظللهُ خيمةٌ
قالَ : أَرحمُ منها العَراءْ

في دروبِ الحجارةِ
نبحثُ عن نصفِ جُحرٍ
لأُصبحَ زوجَـكَ
تصبحَ زوجيَ
هذا المساءْ !
صُرَّتي أصبحتْ تحتَ إبطي
وخلفيَ يجري العُواءْ

كنتَ تجري أمامي

ويجري

على

ظهركَ

المـــاءُ

من قِربةِ الماءْ

كلُّ هذا الشقاءِ ولكنني قد تبسَّمتُ

ثمَّ

ابتدأتُ الغنـــاءْ !

قلتَ لي يومَها : هل جُنِنْتِ ؟!

ولكننا فَرِحَيْنِ صعدنا

كأنا سنزرعُ أبناءنا في الأعالي

هنـــــــــالكَ

قربَ السماءْ

في حديثها عن غربتها

في الطريقِ إلى (غور نِـمْرِيْن)*
كانتْ أفاعي رماديةٌ تعبرُ الدربَ
ما بين بيّارتَين
لتأوي إلى شجرِ الموزِ عند احتراقِ الظهيرةْ
و لم يكن الرملُ غيرَ لـهيبٍ
كأنَّ الحياةَ انتهتْ و كأنّـا
نعيشُ هنا اللحظاتِ الأخيرةْ
على كتفيكَ أثاثُ المغارةِ
نصفُ (خريطةِ) قمحٍ

وبعضُ رغيفٍ تيبَّسَ
قلتَ سنخبزُ حين نصيرُ هناكَ
ولكنني لم أقل لكَ أني نسيتُ الخميرةْ

في الطريقِ إلى (غوْرِ نمرين)
كنّا نُفتّش عن ريْحَةِ الأهلِ في كلِّ شيء نراهْ
وعن كِلْمَةٍ كِلْمَتينِ إذا ما التقينا بهم
لنبلَّ الشِّفاهْ
وعن خَبرٍ عن بلادٍ
وعن عَتْمِ هذا الرحيلِ الطويلِ
وعن سرِّ معناهْ
سألتُ : أكنتُ انتظرتُكَ أكثرَ من رحمةِ اللهِ
كي يغضبَ اللهُ
أستغفرُ اللهْ

ما الذي سوف نفعلُهُ غير هذا الذي نحنُ فيهِ
لكسْبِ رضاهْ
في الطريقِ إلى (غور نمرين)
تحتَ لهيبِ جهنَّمَ
كان عذابي صلاةْ
إثنانِ ،
نجري لنحميَ ثالثَنا .. وفلاةْ
وسمعتُكَ تضحكُ
ـ قد جاءَ دورُكَ ـ
حين سألتُكَ
: ماذا سندعوهُ
قلتَ : اطمئني
فلا نملكُ الآن غيرَ اسمهِ وليالِيَ منفاهْ

في الطريقِ إلى (غوْر نمرين)
مرَّ الربيعُ بنا بعد عامٍ
وعِشْنا طويـــلاً
ولكنني لم أقلْ ـ مرةً ـ إن هذي حيـاةْ

• قرية صغيرة في منطقة الأغــوار ..

في حديثيَ حول أمثالها

الجارُ قبلَ الدارِ
قالتْ :
ليت لي داراً
ولي جاراً
لكي أمضي وأطلبَ صاعَ قمحٍ
أو ظلالاً من كرومِ التينْ

الإبنُ نصفُ البيتِ ،
قالتْ :

ليتَ لي ابناً أُخاويهِ هنا
في صمتِ هذا البرِّ
أهتفُ باسمهِ
وأُسرُّ هامسةً له بعضي ليرحمني الحنينْ

لا ..
وحدتي ليستْ عبادةَ عابدٍ
في ليلِ هذي الأرضِ
قالتْ :
ليتَ لي شجراً لأصعدَهُ
وأبلغَ روحَ أُمي فيهِ
قامتَها
وأكسرَ عتمةَ الأيامِ والقمرِ الحزينْ

لو كانَ في هذي السماءِ هنا اشتياقٌ للشتاءِ
لكانَ غيمٌ قبلَ ذلكَ
ثم قالتْ :
ها أنا بئرٌ عميقٌ من دموعِ الشوقِ
تملؤهُ عيونُ الراحلينْ

لم يبقَ من كَرْمي سوى حطبٍ
وأسماءٍ أُعدِّدُها على مَهَلٍ
كأني سوفَ أنساها وتنساني
ونُنْسى بعدَ حينْ

أَعمىً غريبُ الـدارِ
خلفَ عيونهِ طرقاتُهُ
ويسيُر لا نجمٌ سيرشدُ خطوَهُ في التّيهِ

أو تَهديهِ زهرةُ ياسمينْ

الخيلُ أعلمُ بالصهيلِ وبالدروبِ
وبالغناءِ إذا تبعثرَ
فوقَ صحراءِ الغروبِ
وبالجبين إذا تناثرَ كالطّحينْ

والخيلُ أعلمُ ..
كيفَ أُمسي نخلةً
وأفيقُ عنـــد الصبحِ
لا أرضاً هنـــا تـحتي
كأني نصفُ طينْ !!

في حديثها عن دمنا

فرسانٌ سودْ
لا يعرفهم عبدٌ أو معبودْ
جاءوا في الليلِ الغامضِ كغموضِ الأشلاءْ
سحبوا من تحت ضلوعي الأرضَ
ومن فوقي أغطيةَ الربِّ
سماءً بعدَ سماءْ
فرسانٌ هبوا كالإعصارْ
اقتلعوا أوتادَ خيامي
ومضوا تحجبهم سحبُ النارْ

فرسانٌ هبطوا من ..
لا أدري من أينْ
اقتلعوا ماءَ النبعِ الأزرقِ ..
بخناجرهم هبطوا اجتزوا (رأسَ العينْ)
فرسانٌ
فوقَ ظهورِ خيولٍ لا تصهلُ
ليس لها أعناقٌ ليس لها أقدامْ
هبطوا واقتلعوا النومَ المتعبَ في الأجفانْ
اقتلعوا الربَّ النائمَ في عينيِّ الطفلِ وأحلامِ الغزلانْ
فرسانٌ فوق خيولٍ سودٍ كالهذيانْ
... ...
من تلك الليلةِ يا ولدي
ينفرطُ العمرُ على مَهَلٍ
ووراءي تجري السنواتْ

حُمّىً في القلبِ
ورجعَ عويلٍ في الفلواتْ
وبكاءً للنبعِ الميتِ تحت النّجماتْ

من تلك الليلة يا ولدي
يأتي الفرسانْ
من كل مكانْ
يرتجُّ القلبُ لمرآهمْ
وتجفُّ عروقُ الحيوانْ
فرسانٌ
فوقَ خيولٍ سودٍ
كالهذيانْ
ما أنزلهم ربٌّ في دمنا المسفوحِ
بل الشيطان

في حديثها عن حلمه

كان يهمسُ لي
: إن هذي المنافي ..
كما الحزنِ تمضي
وكان يقولْ
: إنها غيمةٌ وتزولْ
ويهمسُ
: إنك أجملُ من أن تعيشي بعيداً
بلا وطنٍ طيبٍ وخيولْ

.. لم أُطوِّف هنالكَ في أيِّ أرضٍ
لأعرفَ معنى الرحيلِ
وأظمأَ عندَ الوصولْ
و لم أَصلِ البحرَ أكثرَ من مرتينِ
فقد كان لي في التلالِ سماءٌ
وكانت فصولْ
ركضتُ إلى جانب الغيمِ حتى
سبقتُ السهولْ !!
وعدتُ وفي إثرِ خطوي ضباعٌ
وعشرونَ غولْ !!
ويضحكُ ، كنتُ صبياً ،
و لم أكُ أعرفُ أني سأكبرُ خارجَ حُلْمي
وروحي ستغدو رياحاً وجسمي طُلولْ

كان يهمس لي
: إن هذي المنافي
كما الحزن تمضي
وكان يقولْ
: إنها غيمةٌ وتزولْ

ـ كيف تعرفنا الأرضُ من غيرهِ
قلْ ..
ولو ..
كِـلْمَـةً وبحقِّ الرسولْ

في حديثها عن غيابه

ترابُـكَ نـــاداكَ
من لا يلبي نداءَ ترابِـهْ ؟!
ولا شيءَ فينا هنـــا قد تبقّى
سوى الرملِ ياسندي وعذابِـهْ

ترابُـكَ ناداكَ
ها نصفُ جسميَ فيـهِ
أتسمعه الآنَ
يتـلو عليكَ تسابيحَ أمطاره وسحابِـهْ؟

عرفتُ ترابَـكَ قبلَ ترابي
وإن غرَّبتْ هذه الريحُ روحي
وبعثرتِ القمحَ في لونِ عينيكَ
صوتَ حنيني ورجعَ جوابِـهْ

ترابُـكَ نــاداكَ
ماذا هنا فيه غيرُ غريبينِ
نعدو ونعدو
ولا أفقَ للبرِّ غير ذئابِـهْ!

كبُـرْتَ على تلـةٍ من نخيلٍ
وتحتَ ترابِـكَ كان الترابُ
نقيّـاً كما الماءِ
يجري

ونجري معاً
في ثيابِـهْ
ونعرفُـهُ حين يورقُ فينـا
ونعرفُـهُ تحتَ وطءِ عذابِـهْ
ونعرفُـهُ في عواصفِ كانونَ
نعرفُـهُ في اشتعالاتِ آبِـهْ

ترابُـكَ نـاداكَ
أنتَ الذي كنتَ سرَّ اخضراري
وسرَّ غيابِـهْ
وكنتَ له في ضياعِ المعانـي
سطورَ كتابِـهْ
وكنتَ له الناسَ والبحرَ فـيَّ
وعـودَ الشتاءِ

وهذا الهواءَ الذي كلّما مرَّ
تحتَ نوافـذِ بيتي يـرقُّ
ويغمرُ حزني ندىً بعتابِـهْ

ترابُـكَ نـاداكَ
ياليتني كنتُ كلَّ الترابِ
وعشبَ هضابِـهْ
مفاتيحَهُ وذراعيِّ بابِـهْ

ترابك ناداك
من لا يلبي نداء ترابه؟!!!

في حديثها عن أبيها

قبل أن يتزوجَ جديَ من جدتي
بثمانينَ عاماً ..
أبي كان يملكُ سبعَ قوافلَ
فيها خيولٌ وفيها جِـمَالْ !!
يُسَـيِّـرُها بين أرضِ الحجازِ
ومرجِ ابن عامر ـ قلبِ الشمالْ
عليها يُحمِّلُ قمحاً وتمراً
ونصفَ سماءٍ
وبرَّ خيالْ

قبلَ أن يتزوجَ جديَ من جدتي
أبـتي ..
كان يعرفُ من سيكونْ
وقد قالَ لي إنها قصةٌ
لا يُصدِّقُها أحدٌ ههنا الآنَ
لكنها في البلاد هناك لها عاشقونْ

قبل أن يتزوج جديَ من جدتي
بثلاثينَ عاماً
أبي كان يملكُ حقلَ شعيرٍ على رأسِ نخلةْ
ويزرعُهُ مثلما شاءتِ الطـيرُ قمحاً .. وقطناً
ويحرثُـه لا بثورٍ عظيمٍ
ولكن بنملةْ !
من هنالك يـومـاً رأى أمَّـهُ

قالَ : هذيَ أُمي
وكانت أمامَ البناتِ تطيرُ
على رأسها جدولٌ
وطيورٌ
وأشجارُ سروٍ
وفي صدرها فرسٌ
راحَ يصرخُ : أَيَّـةُ فُـلَّـةْ !!
.. وما خلفها كان يعدو حصـــــانٌ
نزلتُ
من الحقلِ
كي أسألَ الناس عن إسمِهِ..
ولأعرفَ أَصْـلَهْ
عرفتُ ..
فغافلتُـهُ

وانسللتُ إلى صُلْبِهِ كالحياةِ
وأصبحتُ ظلّهْ
حيثما تتوجه أُمي أنـا فيهِ
حتى أتى يومُ عُـرسِهْ
رقصتُ وغنيتُ أكثرَ من أُمـهِ وأبيـهِ !!
أنـا إبـنُـهُ
سرُّ أسرارِ نَفسِهْ

قبل أن يتزوجَ جديَ من جدتي
بنهارٍ
وسبع سنينَ
وخمسِ ليالْ
أبي كانَ في قلبِ حُلْمِهِمَا فارساً
وله في طريق الجنوبِ كواكبُ

تعرفه في الظلامِ البهيمِ
وسبعُ قوافلَ فيها خيولٌ وفيها جِـمَالْ !!
يُسَيِّرُها بين أرضِ الحجازِ
ومرجِ ابنِ عامر ـ قلبِ الشمالْ
عليها يُحَمِّلُ قمحاً
وتمراً
ونصفَ سماءٍ
وبرَّ خيالْ

في حديثها عن حبها

وكيف أقولُ أحبُّـكَ في آخرِ الليلِ
حين تعودُ إليَّ
على كـتفيكَ نهارٌ ثقيلٌ
وشمسٌ مطاردةٌ بالسَّوادْ

وكيف أقولُ أحبكَ
لا الوقتُ وقتي
لأعبرَ صمتي
ولا نحن عُـدْنا لأرضِ البلادْ !!

وكيف أقولُ أحبكَ
أولادُنا نائمونَ نَعمْ
وما خلفَ شباكنا من عِبادْ

قطعنا الطريقَ إلى روحِنا حافِيَيْنِ
كدمعٍ عزيزٍ تجمَّع في حدقاتِ الجيادْ
ومضى عمرُنا لنهاياتهِ
قبلَ أن يتفتَّحَ فيَّ مساءٌ وأهمسُ
: إني أُحِبُّ حياتي لأنكَ فيها
وإن خبأتْ مقلتايَ ثلاثةَ أرباعِ ما في الفؤادْ
.. فكيف أقولُ بأني أحبكَ
هادئةً
مثل غفوةِ أطفالنا
والزمانِ البعيدِ الذي ظلَّ في الروحِ ساكِنْ

ومثل الصباحِ الذي يتفتّح في حَـوْشِ بيتكَ
سراً
ويصعدُ قبل انتشارِ الجنودِ سطوحَ المساكنْ

في آخرِ الليل حين تعودُ إليَّ
أحبُّكَ دونَ كـلامٍ
وتعرفُ ذلكَ
ها حَـوْشُ بيتي نظيفٌ
غسيلي نظيفٌ
وظليَ أخضرُ فوق وجوه بنيكَ
وصحنُ طعامِكَ ـ في عزِّ كانونَ ـ ساخنْ

في حديثي عن غرفتها

غرفةٌ
لا تطلُّ على مشهدٍ واسعٍ
أو أحدْ
في الليالي ستنهضُ
تبحثُ في قسماتِ أبينا هنا عن بلـدْ
سوف يُقنعُها بقليلٍ من الحبِّ
أن لها شرفةً
وتُطِـلُّ على قمرٍ خالدٍ كالأبدْ
غرفةٌ

كلما أغلقتْ بابَها تَعباً
أبصرتْ في الصباحِ وليداً جديداً إلى جنبنا
ستحِنُّ علينا
وتنزلُ مثل السّلامِ على كتفيّ أُمِّنا

غرفةٌ
تتراكضُ في الريحِ تجمَعُ أضلاعَنا
وتسيرُ بنا
لطفولتنا ههنالك خارجَ أشلائنا
غرفةٌ من صفيحٍ
وتحرسُنا
من شتاء المنافي الذي يتحولُ في الطرقاتِ
ويقصفُ أعمارَ أعمارنا

غرفةٌ
سترُدُّ الرياحَ وأمطارَ آذارَ
تمضي بنا نحو أحلامنا
وتُسِرُّ لنا أنها أُختُنا
من عروقِ أبينا أَطَلَّتْ
ومن ساعديَّ أُمِّنا

غرفةٌ في المخيمِ
هبَّ الرصاصُ
فعشنا
وماتتْ فداءً لنا

في حديثها مع زوجها

أن تربي ولدْ
ههنا
دونَ شمسٍ
ودون بلدْ

أن تربيهِ دون سماءٍ
ودونَ جداولَ ماءٍ
ودون طفولـةْ
إنها مستحيلةْ

أن تربيه من دونِ مُـهْرٍ
وسَرْوٍ
ومن دون جُـمَّيْزَةٍ وحكايـا ظليلةْ
إنها مستحيلةْ

أن تربيه من دون صبحٍ
ودونَ ديوكٍ تصيحُ على السَّطحِ
دون ضُحىً يتجولُ في الناسِ
دون ظلالٍ هنا في الظهيرةْ
ولا شيءَ غيرَ ليالٍ طويلـةْ
إنها مستحيلةْ

أن تربيه من دون أُغنيةٍ
أن تربيه من دون عُرسٍ

ودون بكاءٍ على روحِهِ
إذ يُكفّنُ وسْطَ الظلامِ قتيلَهْ
إنها مستحيلة

أن تربيه من دون خبزٍ
ومن دون زيتٍ وزيتونةٍ
وتُعلّمَهُ أن يعيشَ
ليحرسَ أحلامَه كلّها وصهيلَهْ
إنها مستحيلة

أن تربيه في زمنِ البُورِ
دون اخضرارٍ يهبُّ
ويُحيي جنادبَهُ .. جريَهُ خلفَها ..
وشقائقَ نعمانِهِ .. وسهولَهْ

أن تربيه ما بين فكيّ رصاصٍ
وتحرسَهُ من أن يُذريْهِ أو أنْ يَطولَـهْ
إنها مستحيلة !

غيرَ أنكَ ربيتَهمْ بشراً
وقطعتَ بهم دون أن ينحنوا ، لحظةً ،
أرضَ هذي المنافي الذليلـةْ

في حديثها عن وداعه صبحاً

.. وصدري أَحقُّ بكَ الآن من هذه الريحِ
من قمرٍ ذائبٍ في الضبابِ الرماديِّ
صدري أحقُّ بك الآن من عتمةِ الطرقاتِ
وهذا الصباحِ الغريبِ
ومن بَـرْدِ كانونَ
صدري أحق بك الآن من لقمةِ الخبـزِ !
من كلِّ شيء بعيدٍ هنالك عن عتباتي
وعن كلماتي
وصمتي

وبيتي أحقُّ بك الآن من عتمة في العراءِ
تُحاصرُ بيتي

وكفّي أحق بلمسةِ كفكَ
وجهي أحق بوجهكَ
واسمكَ ذاك الذي يتفتّحُ مثل الدعاءِ صباحاً
أحقُّ بصوتي
ولكنها الشمسُ
تلكَ التي لا تُطلُّ علينا .. عليكَ
تنادي
فتتبعها
... ...
ساعدي يتلمسُ وحدتَهُ
وهو يبحثُ عنكَ
ووجهي يُجَمِّعُ حنطتَهُ

وينادي عليكَ
وحُلْمي يُغالبُ غربتَهُ
وهو يسعى إليكَ
لأنك من دون خَلْقِ إلـهيَ كنت الأَرَق
فلم تجرحِ الوردَ في سُمرتي
ولا قمرَ اللـه في جبهتي
ولا ذلك الامتدادَ النحيلَ
الذي يتمايلُ في نخلتي

ريحُ كانونَ بالبابِ
تقتلعُ الآن قلبي
وتنفخُ في رئتي
وأنا أتلمسُ في ظلمةِ الفجرِ خوفي
وحرقةَ تلويحتي

وأرددُ :

صدري أَحقُّ بك الآن من هذه الريحِ

صدري أحقّْ

لأنك من دون خَـلْقِ إلـهيَ

منذُ عرفتُكَ

كنتَ الأَرَقّ

في حديثها عن انتظاره مساء

ولا يعرف الوقتُ أني هنا في انتظاركَ
لا يعرف الناسُ ذلك
لا يعرف البابُ
لا توتـةُ الدارِ تعرفُ
لا حَـوْشُ بيتك يعرفُ
لا حوضُ نعناعنا في الظلامِ
ولا ما وراءَ الغيومِ هنالكْ
وقلبـي عليكَ
عليَّ

على عشرةٍ يكبرونَ هنا في الغيابِ
ولا يعرفون بذلكْ
وقلبي على الدربِ
دربِكَ في الليلِ
خطوكَ في وحْلِ غربتنا
وعلى حالِ تلكَ البلادِ
وحالكْ

ألملمُ جسميَ بعدَ المساءِ
كما تَجْمَعُ الريحُ حفنةَ رملٍ وتودعها في الزوايا
وأرتقُ روحي
بأن أتذكرَ وجهَكَ
عينايَ متعبتانِ
وضوءُ السقيفةِ حالكْ

وعتبةُ بيتي هنا تتعثرُ
عبادُ شمسي
وزوجُ الحمامِ
صياحُ الديوكِ الذي ما ارتوى
من نهـارِ عيونكَ أو من جمالِكْ

لماذا تأخرتَ هذا المساءَ
الرياحُ تئنُّ
وتحتَ سمائي ترنُّ
الخطى في البعيدِ
وتنأى
كأنَّ الشوارعَ تَجْمَعُ ما فوقها من أُناسٍ
وتنثرهم
ثم تَجمَعهم

ثم تنثرهم
كلُّ من تحت هذي السماواتِ هالكْ
ليسَ لي غيرُ كفِّكَ
قمحِكَ ..
في ليلة الغرباءِ الطويلةِ
لا تلتقي نجمةٌ نجمةً
وتَضيعُ المسالكْ
تأخرتَ أكثرَ مما انتظرتُكَ
قلبي عليكَ
يُشَرِّقُ حيناً وحيناً يُغَرِّبُ
يَقْطَعُ بالخوفِ هذي الليالي
ويجري
وما خلفه الآن تجري وتجري إلى مطْلَعِ الفجرِ
أُمُّ عِيالِكْ

في حديثيَ عنها ١

: من أنا ؟!

سألتْ.

قلتُ : أُمي

بكتْ

: ثم ماذا ؟!!

... ... !!

... ... !!

كبرنا هنا تحتَ شمسٍ سرابيـةٍ

كبُرَتْ أُمنا لحظةً لحظةً معنا
وكبرنا ولم ننتبه أنها مثلنا
ولها من يديها نصيبٌ كما للغسيلِ
وكَنْسِ المغارةِ والبيتِ إذ يتبدلُ كلَّ ثماني سنينْ
ولها من أصابعها غيرُ طعمِ بقايا العجينْ

ولم ننتبه أنها مثلنا

ولها في الطريقِ إلى السوقِ عمرٌ تقلّبُهُ
ويُقلّبها وهي تسألُ عن وجهها
وعروقِ يديها .. تجاعيدِها
مثلما سوف تسأل عن سعرِ كيلو البطاطا
وتجفلُ حين يفاجئها بائعٌ وهي تسألُ
عن ثمنِ البرتقالْ

: كان أيامَنا يُشترى بالشِّوالْ!!
هكذا سوف تهمسُ ساهمةً
بينَ حُمَّى الإجابةِ حين تهبُّ
وفقرِ السؤالْ

و لم ننتبه أنها مثلنا

ولها فوق أكتافِها قمرٌ غير أَصغرِنا
وهو يسعى ليقطفَ نجماً تعلّقَ في سقفِ ليلتنا
صُدفةً
ولها غيرُ هذي الهمومِ التي كَسَرتْ قامةَ السَّرْوِ فيها
وأحنتْ رؤوسَ الجبالْ
ولها امرأةٌ
بين أضلاعِها

ولها غيرُ هذي العذاباتِ حالْ

ولم ننتبه أنها مثلنا

ولها من طلوعِ النهارِ صباحٌ
.. لها وحدَها
غير إعدادِ خبزِ (الفُطورِ) وعَلْفِ الدجاجِ
واطلاقِ سربِ الحمامْ
وألفِ يَمينٍ لتُقْنِعَنا أنَّ ثمةَ شمساً هنا في الظَّلامْ!
وأن الليالِيَ بعضُ غمامْ

ولم ننتبه أنها مثلنا

ولها جارةٌ وتُحدِّثُها

عن أَبينا .. وتسألُها
: هل كبرتُ كثيراً
لينظرَ لآمرأةٍ ثانيــةْ
ومساءِ خميسٍ بعيدٍ على شرفةٍ عاليةْ
هل يبستُ كنهرٍ
وهل .. ؟!!
ثم تضحكُ حين ستسمع جارتَها
: أنتِ ما زلتِ كالوردةِ الصافيةْ!!

ولم ننتبه أنها مثلنا

وتذوبُ .. وتشتاقُ
تضحكُ .. تبكي
ولسنا السببْ !

في نزولِ السَّلام على وجهها
وانطفاءِ التّعبْ
وتورُّدِ وجنتِها ذاتَ صُبحٍ
كنهرِ ذهبْ
وتفتُّحِ عشرينَ أغنيةً في مدى صوتِها
من سهولِ (جِنِيْنَ) لبَرِّ (حَلَبْ) !!

كبرنا كثيراً
ولم ننتبه أنها مثلنا
كبرنا كثيراً
ولم ننتبه !!

في حديثيَ عن خوفها

.. وعلَّمها الخوفُ نصفَ الكلامِ
ونصفَ المنام
وخفةَ صيدَ الصقورِ
وألفةَ ريشِ الحمام

وعلَّمها الخوفُ نصفَ الـمُقامِ
ونصفَ الرحيل

وعلَّمها خطواتِ الطيورِ

الرِّضا بالقليل
وعلّمها أن تعودَ إلى روحها
ويديها وحكمتِها
وإلى قطراتٍ من الضوءِ في لون حنطتِها
وإلى ياسمينٍ على عتباتِ البيوتِ يصيحُ بياضاً
ورائحةً باسمِها
واختيارَ الرفيقةِ
قبلَ السبيل

وعلّمها اسمَنا في المخافرِ
صرختَنا واقتلاعَ الأظافرِ
ضحكتَنا من ثقوبِ اللحافِ
وتلويحَنا لدماءِ المسافرْ

وعلّمها الخوفُ شكلَ الزهورِ وراءَ الجنازةِ
أحلامَ زيتونةٍ زُرعتْ في ترابِ المقابرِ
عصفورةً سقطتْ في الشِّباكِ
وحبةَ قمحٍ بمنقارِ طائرْ

وعلمها الخوف كلَّ الحنينِ
الليالي البعيدةَ بين جدائلِ عكا القديمةِ
ترويدةً في سهولِ الجليلِ ومرجِ ابن عامرْ

وعلّمها وصفةَ الصبحِ
ما بينَ خيطِ السَّوادِ وخيطِ البياضِ
وأغنيةً تتهجى خطاها إلى الرقصِ
خارجَ هذي الحظائرْ

وعلّمها أن تعيشَ على أُهْبَةٍ كالرياحِ
وأن
تتنزَّلَ
مثلَ
المطرْ
على كلِّ أرضٍ تمرُّ عليها
وأن تفهمَ العشبَ
قبلَ الشجرْ

في حديثها عن حقلهما

التينُ والزيتونُ
والسروُ الدوالي
المرْيَـمِيَّةُ في ظلال البرتقالِ
وريحةُ الليمونِ
فوحُ الياسمينةِ في الليالي
اللوزةُ الخضراءُ
والرمانةُ العنّابُ
والمشمشُ والصّبيرُ
صفصافُ المواجع في الأعالي

الـحَوْرُ والريحانُ
.. روحُك
والبدنْ
ها كلُّ شيء ههنا في حقلِ منفانا تماماً
مثلما في أرضنا الأُولى ..
و لم يَـدُر الزمنْ
لنَـحُسَّ نصفَ دقيقةٍ
أنَّ المنافي كالوطنْ

في حديثها عن أبي

١ -

كلما حدثتنيَ عنه
اكتشفتُ بلاداً بعيدةْ
لم أكن قمحها ذات يومٍ
و لم أطوها في قصيدةْ !!

كلما حدثتنيَ عن شـمسهِ
عن عصافيرَ تخفقُ في إسـمهِ
وعن رحمة الله تجري كما النهرِ في دمهِ

كلما حدثتنيَ عن خوفه كجناحٍ علينا
وعن حُلْمهِ بصباحٍ أليفٍ تناثرَ ،
ندعوه ، يأتي ، كما الطيرِ سعياً إلينا

كلما حدثتنيَ عن شجرٍ يتدفّقُ كالماءِ
في كلماتِـهْ
وعن صوتهِ
وشموخِ صلاتِـهْ
وعن زهوهِ آخرَ العمرِ سراً
بأقمارِ أبنائـهِ وبناتِـهْ

كلما حدثتنيَ عن ذلك البحرِ في صدرهِ
وعن عِـزَّةِ النّخل في فقرهِ
وعن حُلْمهِ بثلاثينَ حرفاً يُـرَتِّـبُها

كي يسطرَ أسماءنا مثلَ طفلٍ بدفترِهِ
خلتُ أن أبي كانَ يكتبُ شعراً
ولسنا سوى بعض أشعارِهِ

٢ - ..
: لن تُدركَ البنتُ يوماً
أباها
ولن يفهمَ الإبنُ يوماً
أبـــاهْ
هذه سُنّةُ الله في خلقهِ علّمتني الحيـاةْ

في حديثها عن سهراتهما

كلُّ شـمسٍ لـها مغربٌ
في البعيدِ
ولي فيكَ مثل الذي فيَّ .. مَشْـرِقْ
ولكننا بين أبنائنا
وضيوفِ مساءاتنا
والأقاربِ
عشنا هوانا
كأنّا وحَـقِّ عيونكَ نَسْـرِقْ
على شاشةِ التلفزيونِ

تهمسُ بنتٌ لصاحبها
: كم أُحبُّكْ
وفي الأغنياتِ
تعيدُ مغنيةٌ ولِـدَتْ منذُ يومينِ!!
: إني أُحبّكَ ، إني أحبكْ
وتهمسُ إمرأةٌ هدَّها العمرُ
في أيِّ مقهىً لمن معها
: سأحبُّكَ دوماً لأني أحبّكْ
ولكنني لم أَقُلها ـ ولو مرةً ـ مثلهمْ
كأنَّ الذي ملءَ قلبي من الحبِّ أَضحى لـهمْ
وأني أُخبِىءُ حبَّكَ في عتمتي
كي يَـرَوْا ، يا حبيبـيَ ، في الليلِ أقمارَهمْ
هنا في المسلسلِ بعد العشاءِ
هنا في الأغاني التي تتقافزُ فيها النساءُ بلا سببٍ

وهنا كي نُتابعَ أفلامَهمْ
ولأهمسَ للقلبِ مثلك في السرِّ والروحُ تَخْفِقْ
: كلُّ شمسٍ لها مغربٌ
في البعيدِ
ولي فيكَ مثل الذي فيَّ .. مَشْرِقْ
ولكننا بين أبنائنا
وضيوفِ مساءاتنا
والأقاربِ
عشنا هوانا
كأنّا وحَقِّ عيونِكَ نَسْرِقْ

في حديثها عن حديثهما

وأفهمُ صمتكَ
وجهَكَ
أفهمُ كفيكَ
خطوَكَ حين تغيبُ
وخطوَكَ حين تعودُ
وأفهمُ جرحَ الطيورِ
ووقعَ الحنينِ بصوتِكَ
أفهمُ صدري الذي يتفلّتُ من زهرِ ثوبي
ومني

وأفهمُ نظرةَ عينيكَ
نارَكَ
حزنَكَ حين يجيءُ المساءْ
وأتبعُ في الفجرِ ضوءَ صلاتِكَ حتى السماءْ
وأعرفُ ما لم تقلْهُ لنا
واضحاً كنتَ لي دائماً
هكذا
مثلَ جرعةِ ماءْ
كبرنا قليلاً هنا أو كثيراً
ولكننا لم نزلْ نترقبُ
من نصفِ قرنٍ ذهابَ الكواكبِ للنومِ
كي ينقضي الأربعاءْ !!
وعودةَ أبنائنا لبنيهمْ
لنخلوَ بالشمسِ بعدَ العِشَاءْ

وقوْلَ كلامٍ نسيناهُ ما بين هِجْراتِنا
وكلامٍ طواهُ بنا الخوفُ ذات دمٍ
أو طواهُ الـحَيـاءْ

كبرنا كثيراً هنا كالظلالِ
وقلنا كلاماً قليلاً يطـولْ
.. تعبنا أجلْ
مثل كلِّ الأغاني الحزينةِ من حزنِها
وهي تعبرُ ليلَ الحقولْ
ولكنْ
هنا في الأقاصي البعيدةِ
في روحـــنا
ظلَّ مِـنْ روحنا
ما يُذَكِّـرُ غُـربَـتَـنا بالخيـــولْ

في حديثها عن حلمها

قالَ لي
: لا تنامي

كأنَّ الحياةَ هنا كلَّها الآنَ
تعبُرُ يا امرأتي من أمامي
ذهبتُ إلى السوقِ هذا الصباحَ
كما تعرفينَ
ولكنني قد رأيتُ الذي عشته طولَ عمري
غريباً عليَّ

الوجوهُ .. الخضارُ
الخرافُ الصغيرةُ
والبرتقالُ
ووجهُ الصبـيِّ
وما بين أسلاكِ أقفاصهِ من دَمٍ وحَمَامِ !!

رأيتُ الشوارعَ غيرَ الشوارعِ !
كنتُ وحيداً
وبي بعضُ خوفٍ
فألقيتُ حيث التفتُّ سلامي
.. على ربطةِ الخبزِ بين يديْ طفلـةٍ
وعلى امرأةٍ
كلما أمسكتْ يدُها طرْفَ ثوبِ صغيرتِـها
ضيَّعتْ ولدينِ وبنتينِ

وسْطَ الزِّحامِ
وعلى جَدَّةٍ بثيابِ الحِدادِ
تبيعُ الشموعَ
ولا يشتري أَحدٌ
فكأنَّ الظلامَ انتهى ههنا
ورعاةُ الظّلامِ

قال لي
: لا تنامي

تحسستُ جسميَ هذا الصباحَ
فأحسستُ أنيَ بعضُ سماءٍ
يدايَ غمامٌ
وصدري غمامٌ

ووجهي
وخَفْقَةُ روحي
.. عظامي
وصوتي
وحُلْمي
ووقعُ كلامي
وحين رجعتُ إلى بيتنا
ـ لم أَصلْ بعدُ ـ
كانت سهامٌ تهبُّ وتَعبرني
ورأيتُ سِهاماً هنالك يا امرأتي في السِّهامِ
كأنَّ الضبابَ هنا منزلي
والرياح مُقامي
ولكنني نمتُ قبلَ وصولي إليكِ
ولا شيءَ أخشاهُ كالنومِ

لا يَحلُمُ النائمونَ بأشباههم

لا تنامي

لأَحلُمَ فيكِ هنا ثم أحلُمُ

إن لم يكنْ ضوءُ عينيكِ في الحُلْمِ

يفسدُ مثل الصلاةِ

ومثل الوضوءِ

ومثل الصيامِ منامي

فأرجوكِ يا امرأتي

: لا تنامي

في حديثنا حول مشاغل الأمهات

.. وبمن سوف يولدُ
تنشغلُ الأمهاتُ هنا
وبمن ماتَ أو سيموتُ ،
بمن غادرَ البيتَ ذاتَ مساءٍ
ولكنّه لم يعدْ بعدُ
ثانيةً فبكتْهُ البيوتُ

وتنشغلُ الأمهاتُ بمن سوف يمضي إلى الحربِ
نصفَ فتىً

لن يقلنَ له أنتَ أصغرُ من أن تكونَ هناكَ
وأكبرُ من أنْ تظلَّ هنا

كلُّ نارٍ تجيءُ
ستقتاتُ من عشبِ أكبادهنَّ واكبادِنا
فيجْمَعنَ أشلاءنا خلسةً
ويخطنَ فراشاتِ أرواحنا..

.. ثمَّ تنشغلُ الأمهاتُ هنا
بمرورِ الجنودِ على العتباتِ
فيحصينَ ما قد تبقّى لـهنَّ من الأنبياء الصغارِ
ويحصينَ ماتركتْهُ الحروبُ
من الماءِ والشايِ والأرغفةْ!!!
ويرقبنَ قاماتِ أبنائهنَّ تطولُ ضحىً

والأيادي على مهجٍ خائفةْ

ثمَّ تنشغلُ الأمهاتُ بنا
كلّما
طرقتْ في المساء أيادي العساكرِ أبوابَنا
أو أيادي الضيوفِ ،
ويبحثن بين أصابعهن النحيلةِ عنّا
ويحترنَ في الفرقِ بين الدوالي وبين القطوفِ ،

.. وتنشغلُ الأمهاتُ هنا
برحيلِ أخٍ لصحارى الجنوبِ ،
وموتِ أبٍ هكذا دونَ معنىً
هنا
وهنا

وهنالكَ
في كرنفالِ الحروبِ ؛

وتنشغلُ الأمهاتُ بعنوانٍ قابلةٍ واسمِها
قبلَ ميلادِ أحفادهنَّ بعام ،
وينسيْنَ ما شئنَ من خوفهنَّ
علينا لكي لا يفرَّ الغمام ؛

وتنشغلُ الأمهاتُ هنا
بطريقٍ يؤدي لبيروتَ ليلاً
وآخرَ يلقي بنا للرياحِ
وبرِّ الشآم ؛

وتنشغلُ الأمهاتُ هنا خـــائفاتٍ

بنصفِ الكلام ..

... ...

أين يمضي النهارُ بهنَّ

ولا شيءَ

غير زِحامِ دَمٍ في الزِّحام ،

وغير الفروقِ الهزيلة ما بين

شكلِ الغرابِ

وإسمِ الـحمام !!

في حديثها عن حنينها

أُخبِئُ أيام عمري هنا
واحداً
واحداً
كي أُطلَّ على قمرٍ تحتَهُ طفلةٌ كالقمرْ
تسافر حافيةً في الليالي
لتغسلَ وجهَ التراب
وتُؤنسَ روحَ الشَّجرْ
وتعبُرَ عشرينَ حُلْماً لتبلُغَ وردَ صباها
وتفتحَ في الريحِ دربـاً

وفي الأغنيات مَـمَرْ

أُخبيء أيامَ عمري
لأرجعَ ثانيةً لجرارِ مياهي
ووقعِ خطايَ على بيدرِ القمحِ
أَنـّى توجهتُ وجهٌ لربي
وأَنـّى ركعتُ هنالكَ سجادةٌ لصلاتي
وأَنى مضى الدربُ بي
سيُعيدُ المدى خطواتي

أُخبيء أيامَ عمري
لأُخفي مرورَ المنافي على قسماتي
فإن مرَّ موتٌ
مضى في سبيلِ نهاياتـهِ

لا دمي فوق كفّيهِ يخبو
ولا جسدي فيه يطفو
ولا تلتقي بامتداداتِ عتمتهِ طُرقاتي

أخبئ أيامَ عمري
هنا في عيونِ بناتي وأبنائيَ النائمينَ
عصافيرَ فوق قرونِ المَهاةِ
وأطوي ظلامي الذي شُفْتُهُ
والدماءَ التي تملأُ الذكرياتِ
لأحيا حياتي
كأنْ لم أمتْ مرةً مرتينِ
ثلاثينَ خمسيَن
يا سندي
ههنا في حياتي !!

في عتابها لـه

: لماذا سترحلُ ؟
قالت لـهُ
حولَنا الآن أولادُنا .. عشرة ٌ
حولنا الآن أبناؤهم
.. ضحكُهم
حولنا الآن منفىً
نُـعَلِّمُـهُ
منذُ خمسينَ عاماً طقوسَ التواضعِ
حين يمرونَ في أرضهِ

أو يـمرُّ بهمْ
إن مضوا للظلامِ
وإن أشرقتْ شـمسُهم
فلماذا سترحلُ ؟
قد جـــاءنا ألفُ موتٍ
صبرنا
كسَرنا دروبَ الرصاصِ الذي هبَّ نحو براءتهم
بالعيونِ
إلى أن تفتَّحَ نوارُهمْ
وظللَ روحي وروحَك ـ يا سندي ـ نـخلُهمْ
فلماذا سترحلُ
قالتْ لـهُ
بيتُنا واسعٌ !!
وعلى السطحِ شـمسٌ شتائيـةٌ

لم ينلْ ضوءَها أيُّ عَتْمٍ
وترتاحُ دافئةً قربنا في الفِناءْ

لماذا سترحلُ
خمسينَ عاماً غسلتَ لها وجهَها بيديكَ
وعلّمتَها أن بيتكَ بيتٌ لـها
إذ يضيقُ عليها الفضاءْ
أين أَمضي بها حين تأتي إليَّ
سيقتُلُنا بـرْدُ هذا العراءْ
لماذا سترحل ؟
جيءَ بنا كي نموتَ هنـا
ولكننا ـ أنتَ تعرفُ ـ عِشْـنا
وفي كلِّ بيتٍ بنينا البيوتَ التي خلْفَنا
وأَطعنا الـحنينَ

الذي في الليالي الطويلةِ فاضَ ليحملَنا
لمنازلِنا في أعالي التلالِ وفي دمِنا
فلماذا سترحل ؟!!
ها كلُّ أولادِنا ههنا
أنتَ ربيتَهم مثلَ زيتونةٍ
وانحنيتَ عليهم سهولاً من القمحِ
أطعمتَهم بيديكَ
وعلّمتَهم قلبَهمْ .. صوتَهمْ
وعلّمتَهم أن يُحِبّوا كثيراً
وألا يضيِّعهم جريُهم
خلفَ صمتٍ وقوتْ

لماذا سترحلُ
مثلك يا سندي لا يموتْ

في حديثها عن غيمتها

وضعتُ سماءكَ تحت ثيابي
لأُخفي نجومكَ عن أَعينِ الناسِ
عن شرفاتِ البيوتِ
وعن بَرْدِ آخر ليليَ ..
عن وحدتي في الحديثِ الخجولِ
الذي يتجمَّعُ مثل الدموعِ صباحاً على شفتي
كلّما لوَّحتْ من بعيدٍ
أو اقتربتْ جارتي

وضعتُ ملامحَ وجهِكَ تحتَ ثيابي
لأوقفَ عزلةَ قلبي التي فضحتْ مقلتي
وكمْ صرتُ أخشى السلامَ على الناسِ
تهتزُّ كفيَ حين أُسَلِّمُ
تهتزُّ في خطوتي وجهتي
.. ..
قطعتُ هنا قربَ بيتيَ بعد المساءِ
رصيفاً وصَفَّيْ منازلَ
لكنني في طريقِ الرجوعِ
أضعتُ الطريقَ إلى غرفتي
السَّهلُ أحمرُ كالجمرِ
أعرفُ
لم يأتِنا مطرٌ منذ عامينِ
من دونِ عشبِ

هنا تتعثرُ روحي

وتهوي

إلى القاعِ

ـ يا سندي ـ

جبهتي

عقدتُ سماءكَ تحتَ ثيابي

وخبأتُ في جوفها غيمتي ..

في حديثيَ عنها ٢

أنْ تكونَ ابنَـها
ذاك شيءٌ كثيرْ
فلا بلغَ الحدَّ يوماً هنا سيدٌ أو أَميرْ

أنْ تكونَ ابنَها
أنْ تطيرَ مع الطيرِ في أُفقـهِ
مع سحابِ الفَراشِ إلى ضوئهِ
وأنْ تُـمسِكَ التلَّ من يدهِ
وتعلِّمَهُ كيف يصعدُ تلكَ الجبالِ هناكَ

وكيفَ يسيرْ
وأنْ تنزوي بالحجارةِ خمسَ دقائقَ
في أيِّ أرضٍ
وتقنعَها أن تطيرْ

أن تكون ابنها ..
أن تكونَ بسيطاً كجرعةِ ماءْ
ومثلَ التّحيـةِ خضراءَ تخرجُ من قلبِ جارٍ
لجارتهِ في الصباحِ وتغمرُها بالبهاءْ
وأن تنحني مثلَ أُمٍّ على حُلُمٍ قد تكسَّرَ
ترفعَهُ عالياً للسماءْ

أن تكون ابنها
أن تـمرَّ على الأرضِ طيفاً يُهدهدُ عشاقَـها

ورياحاً تُبدِّدُ كلَّ خَواءْ
أن تحبَّ الصديقَ
وتُخفِضَ هذا الجناحَ رقيقاً لكلِّ النساءْ
وأن تتحمَّعَ في حبَّةِ القمحِ مثلَ الرغيفِ
وشوقِ الوليفِ لذاكَ الوليفِ
وفي كلِّ عينٍ تَرِقُّ لمشهدِ عُرْسٍ
وتُخفي أَساها وسرَّ البكاءْ

أن تكون ابنها
أن تعيشَ كأغنيةٍ في الشِّفاهِ
وأُمنيةٍ في القلوبْ
وأن تحملَ الفجرَ في جرَّةِ الماءِ
كلَّ صباحٍ
وتمضي به لصقيعِ الشَّمالِ

وحزنِ الجنوبْ
أن تظلَّ على حبِّ هذي البلادِ
وإن تابَ غيرُكَ ألاّ تتوبْ

أن تكونَ ابنها
ليس ذلكَ صعباً على أيِّ طائرْ
أن تكونَ ابنها
أن تكونَ حصاناً
وليس هنا ـ بالضرورةِ ـ شاعرْ !!

في حديثها عن نفسها

يرحلُ الناسُ بعد قليلٍ فأنهضُ
كي أنحني لأُنظّفَ آثـارَ أدمعهم بدموعي
وأمسحَ وقعَ العويلِ على درجِ البيتِ
تحتَ الشجرْ

يرحلُ الناسُ بعد قليلٍ فأنهضُ
كي أنزوي بثيابِـكَ
حتى أُرتّبَها
وكأنّكَ أنتَ الذي لم تسافر

قد جاءكَ الآن كلُّ السَّفرْ
ليطرقَ بابَـكَ ،
بابي الوحيدَ
ويتركَني تحتَ هذا المطرْ

يرحلُ الناسُ بعدَ قليلٍ
فأبحثُ عمَّنْ سأسألُـهُ عن غيابِـكْ
وأسألُـهُ : كيف ترحلُ هذا الرحيلَ الطويلَ
وتتركَ خلفكَ كل ثيابِـكْ ؟

يرحلُ الناسُ بعد قليلٍ
ويبقى صغارُكَ
قد كبروا
أحمدُ اللـهَ أنهمُ كبروا

لن يجيئوا إلى غرفتي آخرَ الليلِ
كي يسألوا عنكَ
أين مضيتَ ؟!
متى ستعودُ ؟
وماذا ستحملُ لي ولهم في إيابِكْ
أحمدُ اللـهَ
لكنني سأقولُ الكثيرَ له في الظلامِ
وأسألُهُ ما الذي قد فعلتُ
ليتركَني ههنا مثلَ صحراءَ دون سحابِكْ ؟!

في حديثي عنها ٣

كان للخبزِ طعمٌ ، تقولُ
وكان له قبلَ ذلكَ غيمٌ
وكانت حقولْ
كان لليوم فجرٌ وكان مساءٌ
وكانت له زهرةٌ تتفتّحُ ،
عبادُ شمسٍ
ونجمٌ يدلُّ الطريقَ إلى بيتنا
ويُعيدُ المواشي لنا والخيولْ
كان للجار جارٌ

وللضيف نارٌ
وإذ يلتقي الغرباءُ تجيءُ القرى من بعيدٍ
تفيضُ الحكاياتُ في ظلّهـــم
والحديثُ يطولْ
كان للعرسِ بهجتُـــه
والأغاني
وللناي وقْعُ الندى في المكانِ
وللموتِ
للموتِ حزنٌ عميقٌ
ولا ينقضي هكذا
كالثواني
تغيَّر طعمُ الزمان هنا في أواخرِ روحي
ولم يبقَ للأخضرِ الآن معنى
كأنّ الذبولْ

هنا في المياه
فلا وصـلَ في الوصـلِ
أو في الوصولْ
فماذا أقــولْ ؟!!

في حديثها عن وحدتها

لا أُطيقُ الخروجَ من الدارِ بعدكَ
لا سقفَ يستُرُ قلبي
ولا ماءَ يروي مياهي
الحياةُ ستمضي إلى حالِها
وكما كل يومٍ
وأعرفُ ذلكَ
لكن وجهكَ في البيتِ وجهي
وعينيكَ صحوي
وضوءُ انتباهي

لا أُطيقُ الخروجَ من الدار بعدكَ
كفُّـكَ
ما زالَ فوق جبيـني
وإسـمُكَ
ما زالَ شـمسَ شفاهي
وتعرفُ أنَّ الطريقَ يدورُ ليرجعَ للبيتِ
مهما ابتعدتُ
لأنَّ ظلالَكَ فيه اتجاهي

لا أُطيقُ الخروجَ
من الدارِ بعدَكَ ..
لكنَّ بيتاً وحيداً
مضيتُ إليـهِ

وطُفْتُ بـهِ
قلت ألقاك في ظله
بانتظاري
وقد كانَ ذلكَ بيتَ إلـهي

في حديثها عن أيامها

من صباحِ الخميسِ
إلى ليلةِ السبتِ
يمتلئُ البيتُ بالضحكاتِ الصغيرةْ
يركضونَ هنا في الممراتِ
خلفَ المقاعدِ يختبئونَ ..
يضيئونَ أنوارَ بيتِكَ
من دونما سببٍ في النّهارِ !!
(عليٌّ) سيلعبُ دَوْرَ الأميرِ أمامي
لأنسى

وتلعبُ (مريمُ) دورَ الأميرةْ
وفي آخرِ الأمرِ لا شيءَ يبقى
سوى
بقع الشاي فوقَ الحصيرةْ !
.. ..
من صباحِ الخميسِ
إلى ليلةِ السبتِ
يجتمعونَ هنا تحتَ أغصانِ داليتِكْ
وينتظرونَ
ـ كما قبل عامين ـ
كفَّكَ يمتدُ نحوَ يديهم
وحِنّيَّةَ اللهِ في لمستِكْ
ويتكرونَ ثلاثينَ عُذراً
لكي يلعبوا بالترابِ هنالكَ في ساحتِكْ

كيفَ لـمْ أَروِ عيـنيَّ من نبعِ وجهِكَ
إذ كنتَ قُـربي
ومن أينَ جاء اليقينُ بأني سأرحلُ قبلكَ
يسبقني قمرٌ طيبٌ مثل صوتِكَ أو ضحكتِكْ
كنتُ أدعو : إلهيَ خذني إذنْ قبْـلَهُ
كي أسيرَ إلى القبرِ خضراءَ
لكنني الآن أجلسُ وحدي..
لأحكي لقلبـيَ ـ منذُ رأيتُـكَ ـ
سيرةَ قلبيَ في سيرتِكْ

.. ..

من ليلةِ السبتِ
حتى صباحِ الخميسِ
رياحُ سكونٍ تهبُّ
فأدفعُها

كي أظلَّ كما شئتَ عاليةً
ويظلَّ نخيلُكَ في قامتي
ويظلَّ نخيليَ
في قامتِكْ

في حديثهما معا

- ١ -

لا شيءَ تحتَ الأرضِ غير الأرضِ
يمكنُ أنْ أقولَ به المدائحْ
الريحُ قاسيةٌ هنا
والصمتُ جارحْ
يأتي النهارُ وليلُهُ فيهِ ..
الطرائدُ في الجوارحْ
قد كنتُ أُبصرُ وجهَ موتي غامضاً
كغموضِ قتلانا هنالكَ في المذابحْ

أأقولُ : إنَّ الموتَ واضحْ ؟!
وكأننا عشناه قبلَ الآنَ منفيٌّ أو سعيرْ
لا ..
لا تزوري القبرَ أكثرَ من زيارتكِ الأخيرةِ
ههنا موتٌ كثيرْ
لا .. لا تزوري القبرَ
تحتَ الأرضِ لا أُغنيّةٌ تعلو
ولا طيرٌ يطيرْ
أَخفيتُ حُلْمي فيكِ قبلَ الموتِ
أسمائي وموطِنَنا الصغيرْ
لا ..
لا تزوري القبرَ قد يعتادُ وجهُكِ حزنَهُ
ينسلُّ خلفَكِ ثم يأوي
بينَ قلبِكِ والسريرْ

- ٢ -

يرتاحُ وجهُـكَ مثل دوريٍّ على شباكِ بيـتي
اللـهُ فيهِ جناحُـهُ وحنيُن أُغنيتي لصوتي
يرتاحُ وجهُـكَ
فوق صمتِ مخدتي
ليسرَّ لـي عيشي طويلاً
كي أُناكِفَ فيكِ مَـوْتي

في حديثها عن نشيدها

... وبسمي .. وبسمكَ
بسمِ الترابِ
وبسم الهواءِ الذي يتواردُ مثل العصافيرِ
يأوي أليفاً لأشجارنا
أتجمَّعُ كلَّ مساءٍ وأُنشِدُ أسماءنا
كي أغالبَ ريحاً تهبُّ عليَّ ..
عليكَ هنا
منذ خمسينَ عاماً وتخطفنا
واحداً واحداً

وأُساهر روحي إلى أن ينامَ المنامُ
ويتركَنا وحدَنا
ضوءَ وجهكَ
يشرقُ بي .. وأنـا

كلّ بيتٍ سكـنّاهُ
في ليلِ هذي المنافي الطويلةِ غافلنا
ومضي للبعيدِ وفي يدهِ بعضُ أحبابنا
لم يعدْ وجهُ أُمي
ولا وجه جدّي
ولا أنتَ ـ ياسندي ـ بيننا
ولم تكن الأرضُ في أيِّ يومٍ
هنالكَ
أضيقَ من جسمنا

في البعيدِ ـ القريبِ
هنالك بحرٌ ونهرٌ وصحراءُ
مرجٌ بأجنحةِ الميجنا
ويقودُ خطانا صغاراً
إلى سرِّ أرواحنا
.. في الشتاءِ الأليفِ يردُّ علينا عباءتَـه مثل أجدادنا
وينادي علينا
ويعرفنا
في ظلامِ الكلامِ
وفي بوْحِـنا

في احتراقِ النهارِ على جبهتي
أتـجمَّع كل مساء أغالبُ

خمسيَن عاماً من الموتِ
مرتْ على قلبنا
وأدورُ أعددُ كم أخذتْ من خيولٍ
وكم ذبحتْ من ضَنَى
ثم أعجبُ من غرفةٍ وسِعَتْنا
ومن لقمةٍ أشبعتْ جيشَنا
وأعني : أنا أنتَ أولادَنا
ذاتَ يوم صعدنا الجبالَ وحيدَيْنِ
لكننا الآن ... !!!
أجلسُ نصفَ معذّبةٍ نصفَ فرحانةٍ
كي أَعدَّ أصابعَ كفيَّ
أُحصيكَ
أُحصي مدى جسدي في بنيكَ
وأُحصي بنيكَ بأَحفادِنا

في حديثي عنها ٤

حولـها واحدٌ وثلاثون نجماً
وأعني حفيداً
وعشرةُ أبناءَ سمرٌ يحبونَ حنطتَها
وسماءَ أصابعِها الناحلاتْ

حولـها صِبْيَةٌ فارعونَ .. نخيلاً
وحِنّيَّـةُ الطيرِ للطيرِ في ضحكاتِ البناتْ
حولـها شجرٌ يتراكضُ بين النوافذِ والسورِ
لكنّه إذ تطلُّ

يجيءُ ويمسحُ بالضوءِ عَتْمَ الممرِّ
ويُخلي لكوكبها العتباتْ

منذُ عامينِ قلنا ستسألُ
عن سرِّ هذي الرمالِ على كتفيها
عن الريحِ تذرو مخدتَها
وعن الملحِ في الصمتِ والكلماتْ

لا تُفَسِّرُ شيئاً
لكيلا نرى في الحروفِ الرُّفات

فتأكلُ ..
تشربُ ..
تضحكُ

تغفو نهاراً

لتصحو ..

وتصعدُ للسطحِ عندَ الغروبِ

تُلوِّحُ للشمسِ

تسمعُ صوتَ الأذان على درجِ الظُّلماتْ

تلملمُ دمعتَها وتعودُ إلى رُكنها لتصلي العشاءْ

تطيلُ الركوعَ ..

تطيلُ السجودَ

تطيلُ الدعاءَ

كأنَّ أبانا ـ هنا ـ في الصلاةْ

في حديثها عن نذرها

إذا كانَ لي في حياتي نصيبٌ
لأحيا هناكَ
سآخذُ من أرض منفايَ حُزني عليهْ
وآخذُ عشبَ أصابعِهِ
وحنينَ يديهْ
وشمسَ فلسطينَ في قلبِهِ
تتسللُ خضراءَ مثلي إليهْ

إذا كان لي في حياتي نصيبٌ

سأحملُ أسماءَهُ الأربعـةْ
وأنثرُها في سهولِ الجليلِ
وأجري معهْ
وأعقدُ عُرسي على ظَهرِ مُهْرٍ
كما شاءَ يوما
وأحملُهُ في دمائي صلاةً
وفي الحُلْمِ حلما
وأهتفُ : عِشْ من جديدٍ
وكنْ للحَمامِ هديلاً
وكنْ للسطوحِ سماءً
وكن لاشتياقيَ جسما
وكن لجراريَ نهراً
وكن لشفاهيَ طعماً
وكن لي كما كنتَ دوما

أباً وأخاً ثم أُمّـا

إذا كانَ لـي في حياتي نصيبٌ
لأحيـا هنالكَ يوماً ـ كروحكِ ـ حراً وصافيْ
سأَغفـرُ
كـــلَّ
خطايـا المنافـي

بســـم الإبن

أعمـــدة الهـــواء

لا تقـولُ الحكايـةُ أكثرَ من نصفِـها

***

بعد يومين أُولـدُ
شمـسٌ هنا بانتظـاري
ورفٌّ عصافـيرَ
أعمـدةٌ من هـواءٍ
وبَهـوٌ فَـراشٍ
جيـادٌ على عتبـةِ البـابِ
سـهلٌ فسيحٌ يـحاولُ أن يَبْلُـغَ النافـذةْ

هيـاجُ نـجومٍ يضيءُ المـكانَ
فتـاةٌ ترتِّبُ لـي خطـوتي
وتسوقُ الأغـاني إلى لغـتي

... ...

بعـد يومينِ لـن تـجدَ الوالـدةْ
قمـراً لتضيءَ بـه المائـدةْ
أو حـليـباً هنـالكَ في صـدرِها
لا تقـول الحكايةُ أكـثرَ من نصفـها

***

كَـبُرتُ وجـئتُ طويلاً ـ لـخالـي ـ
نسيـتُ كـلامَ أبـي
وأَطـعتُ طيـورَ البراري
وعـذَّبتُ نعنـاعَ أُمي كثيراً
جـدائـلَ إبنـةِ جيراننـا

وشبابيـكَ جـاري
وخوَّضتُ في بِـرَكِ الطـينِ
في لـحم كـلِّ الوصايا التي طاردتني
وقلتُ : لكِ المجدُ يا أيهذي الضواري !!

ولكنني ذاتَ يـومٍ هدأتُ
نبيـاً صغيراً إلى العشب عُدتُ
رأيتُ الفتـاةَ
وحين اختليتُ برمانها
تناسيتُ من يومها كلَّ جسميَ في جسمها
لا تقول الحكاية أكثر من نصفها

***

الأساطيرُ تبدأُ من ههنا
عبرتْ من أقاصي الشمالِ

وفي غفلةٍ أوقعَتْ شالَها
فتدافعَ عشبٌ كثيرٌ ليرفعَهُ
واندفعـنا
ولكنها صرختْ : يا رياحُ أعيديهِ لي
وأسرَّتْ لنـا :
انتظروا ستعودُ الريـاحُ بـه
فانتظرنا
تعبنـا
وظـلَّ فتىً وحـدَهُ ههنا
قد يكونُ أنـا !!
كلُّنا الآن نعرفُ أنّـا خسرنا
وأن الفتى ربحَ الانتظارَ
وأن الرياحَ أعادتْ لـهُ
الفتـاةَ

وأسرارَ شالاتِـها
لا تقول الحكاية أكثر من نصفها

***

كلُّنا من ترابٍ
ولا يعرفُ الأنبيـاءُ عن الشِّعرِ ما يعرف النَّخلُ
لا تستهيني بنـا يا فتـاةُ إذن
لا تشيحي بعيداً بأقمارِ نَـحرِكِ
لا تستهيني
اذكُري أن هذي الحكايةَ مثلُك
تبقى ترابـاً
ونحن فضاءٌ لمعنى صعودكِ
لا تسألي هل بُعثنا بحبكِ
أم هل قُتِلْنَـا

... ...

كلُّ أُغنيــةٍ بأصابعِ مُنشِدِها مُعجَبةْ
وبسُلَّمِها !
لا تقول الحكاية أكثر من نصفها

***

يسقطُ الشهداءُ فُرادى
وهم ينشدونَ لأوطانِهم
وكأنهمو لم يعيشوا الحياةَ !!
ولا لوَّحَتْهُمْ فتـاةٌ تردُّ جديلَـتها
وتردُّ الهواءَ الذي يتشيطنُ
مندفعاً نـحوَ ركبتـها
لا تقول الحكاية أكثر من نصفها

***

زغردتْ حينَ حدَّثها قلْبها
حين جاءَ النبأُ

وحين البريقُ الذي عاشَ عينيهِ
منذُ سنينٍ هناكَ انطفأْ
ودارتْ على النائحاتِ ودارتْ
لتختارَ مُهْرَةْ
لآخرِ مَسرةْ
وترفعُها بثيابِ الحدادِ إلى عُرْسِها
لا تقول الحكايةُ أكثر من نصفها

***

سنموتُ هنا
ونموتُ هناكَ
وتجمعُنا الذكرياتُ
الكثيُر من الذكرياتِ
لتتسعَ الأرضُ في قبرنا
ونُداعبَ اخوتَنا الشهداءَ بخفّةِ أشلائنا

والحنينِ الخفيِّ لأرواحِنا ومجازرِنا
ونطاردهمْ كي يقولوا تَعِبنا
وترتاحَ منا القصائدُ
حتى تموتَ هنالك في ثلجِها
لا تقول الحكاية أكثر من نصفها

***

سنموتُ فرادى فلا تحملي هَمَّنا
سنموتُ كما لم نمتْ
كالبعير !!
سنموتُ فرادى لأنَّ المدى سوف يصبحُ
أجملَ مما تظنينَ
أجملَ من لوزةِ الدارِ
أجملَ من إبنة الجارِ
من فَرَسِ الشيخِ

تطوي حقـولَ الشعـيرْ
حين يأتي الحصانُ الذي أشعلتـه طويلاً
ليصهُلَ في لحمِها
لا تقول الحكاية أكثر من نصفها

***

إن أتوا ذاتَ ليـلٍ لكي يقتلونيَ ثانيـةً
هيـئي الشـايَ
قولي بأنّي انتظرتُ طويلاً
وقولي لهم أنني سأعودُ
لينتظروا عنقي ..رئتي
جبهتي ويـديـا
فبعدَ قليـلٍ سأُبعثُ حيّـا
لينتظروا
وكأنهمو بعضُ أَهلي !!!!

وقولي لهم ما تقولي لنـا
واتركي النارَ ترقصُ رقصتَها
والنوافذَ تغزلُ لوعتَـها
لا تقول الحكاية أكثر من نصفها

***

لا تقول الحكايةُ شيئاً
لأنا بداياتُـها
لا تقولُ الحكايةُ شيئاً
لأنا نهاياتُـها
لا تقولُ الحكايةُ شيئاً
لأنّا حكاياتُـها

السّحابة

تبحثُ الأرضُ عن شجرٍ خلفها
داخل الروحِ
يبحث سربُ سنونو
عن الجسدِ
بين سبعِ ضفافٍ
يفتشُ نهرٌ عن القمح فيهِ
وفوق السماء التي خلعت ثوبها ـ البحرَ
يبحثُ رملٌ عن الأبدِ
جثةٌ تتطاير من فرط غربتها سحباً

والجبالُ هنا تحتها زردي
في فضاء الهواء المزَّق تكشفُ
فاكهةُ الصيف عن جسمها
قمرا تائهاً في شحوب يدي
وجوارَ أغانيكِ
في عمقِ صوتكِ
يرتاحُ قـبرٌ من الدورانِ
ويهربُ ناي إلى كبدي
...
سأفتشُ في كلِّ شيءٍ أراهُ
لعَلّي أرى صدفةً بلدي

53ES

الزائـــر

يتقدمُ فوق رؤوسِ أصابعِهِ
في العتمةِ
أعرفهُ
أنفاساً لاهثةً
تصعدُ طرقاتٍ تذوي
ونجوماً تهوي من فَرْطِ هشاشتِها
والوقتُ بلا لون كالماءْ

يتقدمُ خشخشةً في الأبيضِ

لا يبصرُها العابرُ
تسَّاقطُ كالدمعِ
وتذوي
دون حروف تُفصحُ عما في زرقتها
والصوتُ بلا لون كالماءْ

يتقدمُ في العثراتِ
وينهضُ
في العثراتِ
كنهر يصعد في الأحلامِ جبالاً من قممٍ صحراءْ
والريحُ بلا لون كالماءْ

يُنشدُ أُغنيةً لا أذكرُ منها
غيرَ الدمِّ المسفوحِ

على أرصفةِ الشمعِ
وذاكرةٍ بيضاءْ
والصمتُ بلا لون كالماءْ
يرفعُ قبضته
كي يطرقَ أشلائي الملقاةَ على عتباتِ البيتِ
فيبصرني فيها
يتراجعُ عشرَ خطىً خضراءْ
ويهيلُ الضوءَ على مَن سَهِرَ الليلةَ فيَّ مِن الأحياءْ
من ذاك القادمُ تسألُني
من بئر براءتها الأشياءْ

الإسمُ ؟!!
بلا لونٍ
كالماءْ

شـــهيد

مضى كلُّ شيء إلـى حالـهِ !
الرجـالُ بأرديـةِ السبـتِ
عمري
النساءُ إلى غربِ تفاحهنَّ
مذاقُ البنات الذي عَبرَ الـحُلْـمَ أمسِ
النـشـيدُ الموزَّعُ في الخطواتِ
وكحلُ الصبـايـا العميـقُ
طيـورُ السنونو على شرفـاتِ الخريـفِ
الريـاحُ على عتبات الحقولِ

وحزنُ العصافير بعدَ الحصادْ

مضى كلُّ شيء إلى حالهِ !
قلبُ أمي إلى شوكةٍ ..
والبلادْ
هنا أتلمَّسُ صوتَ الرصاصةِ في الرُّعبِ
روحي التي كسَّرتْ راحتيّ
وأبكي عليكَ
أتبكي عليّ
كلُّنا بعدَ موتكَ أحياءُ نرزقُ
قلْ لي..
ولو مرةً
يا حبيبي
: أما زلتَ حيّ ؟!!!!

العـائد

يعودُ المهاجـرُ من موتـهِ كـلَّ يومٍ
إلى ظلِّ حائطـهِ ..
ودروسِ القراءةِ
للظلِّ يحبـو ويرتـاحُ فـي هـدْأَةِ الكينيـا ءْ

يـعودُ المهاجرُ من موتـهِ
كـي يُـلملِـمَ أنفاسهُ من حجارةِ سـنسلةِ الدارِ
من قدميِّ الحليـبِ
ومن حشرجاتِ الـهواءْ

يعـرفُ الشجراتِ ..
زوايا البيوتِ القديمـةِ
وقْعَ خطى أُمه في الـفِنـاءِ
حكاياتِ جدتهِ للعفاريـتِ
حتى يناموا
وتقطفَ من أنجمِ الليـلِ من بعدِ غفوتهم ما تشاءُ

لم يكن فـيه ما يشـبـه الغرباءَ بشيءٍ
ومرَّ غريباً
ولكن كلَّ الذين رآهم على العتبـاتِ
هنالكَ
كانـوا
هـمُ الـغربـــاء

المقـاعـــد

نهاية ١

المقاعـدُ
أضلاعُنا الهاربـة
لتُطلَّ على مشهد البحرِ عند الغروبْ
يومُـنا الـمُرُّ عزلتُـنا
جرأةُ الحزنِ خلفَ ابتسامتنا
وخروجٌ إلى الناسِ .. يعني الهروبْ
المقاعدُ أرجلُـنا الذائبةْ
في ترابِ الحدائقِ بعد الحروبْ

استراحة

المقاعدُ لا تتذكرُ شيئاً
ولكنها جلستْ مثلنا
ههنا تستريحْ
لتُحصيَ أوراقَ هذا الخريفِ
الخريفِ الفسيحْ
كلّما وصلَ العَدُّ للأربعينَ
أتتْ من جميع الجهاتِ وراحتْ
تناكفها وتُخَرْبِطُها الريحْ
المقاعدُ لا تتذكرُ شيئاً
ولكنها جلست مثلنا ههنا
تستريح

غـــرباء

يا لعتمتِهمْ
وبلادتِهمْ
وعبوسِ صغيراتِهم والنساءْ
هؤلاءِ الذين أتوا غرباءً
وعادوا إلى بيتهم غرباءْ
هكذا جلستْ بهدوءٍ تفكرُ
هذي المقاعدُ
بعدَ المساءْ

نهاية ٢

مقاعدُ من حَجَرٍ
في الترابِ
هنا .. من قديمٍ
مقاعد مرَّ عليها ظلامٌ
ومرتْ عصورْ
كم من ملوكٍ .. أباطرةٍ عرَّشوا فوقها
وكأن الدوائرَ لا لن تدورْ
مقاعدُ مزهوةٌ بالحريرِ
وغيمِ العطورْ
تحلمُ الآن بالناسِ
تصرخُ ..
تبكي

وتعوي ..
تخورْ
: لو مرةً تُبصرُ الشمسَ
لو تتشممُ زَرْقَ الطيورْ

فـراق

مقعدٌ في الحديقةِ
والبردُ أسودُ
صمتٌ كثيفٌ هوى من أعالي المكانِ
إلى اللحظةِ الذاهلـة
كانـا هنا .. قبلَ خمسِ دقائقَ
قالا الكثيرَ
و لم يتركا
غيرَ برد اليدينِ على صدرهِ
وعويلِ قرنفلةٍ ذابلـةْ

شـــغب

بعد أن يخرجُ الناسُ من يومها
وفضاءِ الحديقةْ
ـ وفي الوهمِ وهمٌ يُسمّى الحقيقةْ !! ـ
ستصحو المقاعدُ
تستلُّ أرجلَها اليابسةْ
من شحوبِ الممراتِ تحتَ القمرْ
وتبدأُ فصلاً طويلاً من اللهوِ
يوقظُ في العتْمِ ذعرَ الشجرْ
مقلدةً صوتَ من عبروا
صمتَهم .. حزنَهم
وحكاياتِهم
وجهامةَ ضحكاتِهم

وكأنْ لم تلامسَ أرواحَهم قطرةٌ من مطرْ
ويمتدُّ ليلٌ
ويمتد ليلٌ
وعند الصباح تعودُ المقاعدُ هاربةً لهدوءِ الحجرْ
: خطرْ
.. خطرْ
ويرى طائرٌ وهو يعلو بعيداً
ببابِ الحديقةِ
بعضَ البشـر !!

أحـزان

ملتصقاً بالطاولةِ المنسيةِ كانْ
العتمةُ صمتُ الحائطِ..
وشحوبُ الأركانْ
جاءوا من أقصى المدنِ المذبوحةِ بالنسيانْ
أكلوا ..
شربوا ..
ضحكوا
واشتبكتْ تحتَ الطاولةِ الغفلى السّيقانْ
في حمّى النشوةِ كانت تنسكبُ الخمرةُ
من كأسِ السيدةِ
فيصرخُ : كمْ أنا عطشانْ !
المقعدُ يشربُ خمرتَها

المقعدُ يشربُ ضحكتَها
المقعد يحفن زبدتها
المقعدُ وهو يغافلُها
مُنْسَلاً
نحوَ البوابة .. سكرانْ
يترنحُ في عتمَـــةِ (عَمَّـان)

حنـــين اســود

يُشاركُهُ الخوفْ
يشاركه طعنةَ الريحِ
كانونَ في أوجِ وحدتِهِ
ويشاركه النارَ في موقدِ الصيفْ !
يشاركه الخيزرانَ (العَـلامَـةَ)
رعبَ السؤالِ
.. وريقاً يـجِفْ
يشاركه الملَلَ المتساقطَ من أحرفِ الدَّرسِ
من خدعةٍ في صهيلِ النشيدِ
ومن جُمْلةٍ تحتَ رحْمَةِ حرفْ !!
الصغيرُ الذي عبد اللّـهَ سبعَ سنينٍ
ليدخِلَـهُ المدرسةْ

ليرى البحرَ في (الكُرةِ الـمُشْمِسَةْ)
الصغيرُ الذي عذَّبتْـهُ الرياحُ
وأوتادُ خيمتِهِ البائسةْ
الصغيرُ الذي حُلْمُـه مقعدٌ خشبـيٌّ
هناكَ بزاويةِ الصَّفْ
ليغفو ولو لحظةً كلَّ يومٍ
ويحمـــيهِ سَقفْ !

إقـــامة

مقعدٌ
يتجولُ
في الناسِ
والناسُ في الحافلةْ
سوف يخفقُ مثلي
إذا ما أتتْ
ومن بين كلِّ المقاعدِ جاءتْ
لتسكُـنَهُ امرأةٌ مُذهـلةْ

خـــدعة

مقعدُ السينما
راحَ يهتفُ ـ مبتهجاً ـ للبطـلْ
فَـرِحَـاً بأفولِ الظـلامْ
فَـرِحَـاً باندحارِ الحديـدْ
مِـن جديـدْ
مقعدُ السينما
لو مرةً يبلغ العتبةْ
ليرى تحتَ شمسَ النهار هنـا
كم مرة يذبحونَ الشهيـدْ

مكيدة

مقعدٌ
سوفَ يدعو خطايَ الطليقةَ
أن تستريحْ
ليمشي مكاني
ويعرفَ طعْمَ السباقِ مع الريحْ

مـوت

ستضحكُ
حين نغادرُها
واثقينَ بأنّا اتفقنا ..
المقاعــدْ !
وتتبعنا كي ترى صمتَنا
في الأَسِرَّةِ
أو حولَ تلك المــوائدْ

تحـــذير

ثمَّ بعضُ المقاعدِ
قد لا تُحبُّ لزوجَـةَ بعضِ القصائدِ
سيلَ الكلامِ الثقيلْ
انتبهوا
قد تطوحُ بالجالسينَ على قلبها
لأقاصي جهنَّـمَ
بعد قليلْ !!

الكـراسي

الكراسي ستُلقي بنا للحروبْ
الكراسي ستغمرُنا بالسّلامْ
الكراسي ستغفرُنـا كالذنوب
الكراسي ـ الجحيمُ
الكراسي ـ الشفاعـةْ
الكراسي التي كلّما جـدَّ جِـدُّ
ستهتفُ موتوا لتحيا الشجاعـةْ
الكراسي التي كمْ تُحِبُّ الشعوبَ
الشعوبَ ـ القناعـةْ
الكراسي التي
من دَمٍ فوقَ دَمْ
الكراسي التي

لا تطيقُ بأن يُورِقَ الآن حُـــلْمْ
الكراسي التي
لم يكن أصلُها شجراً
ذاتَ يومْ

احتمـالات

١ -

ربما كان للصمت ألْسِنَةٌ

تتدفقُ فينا

وتنشرُنا كالغسيلِ البهيِّ

تُسـمّى العنب !!

٢ -

ربما كان هذا التّرابُ المحاصرُ

في لحمنا .. أُفقاً مرمريـاً

دعتْـهُ الطيـورُ كثيراً .. ولكنـه لم يُجِبْ

٣ -

ربما كان للنـارِ حزنٌ قديمٌ
يُسمّى الرمـادُ
يُعـذّبها بانطفاءاتنا
ثم يتركُها هــكذا
تَنْتَحِبْ

٤ -

ربما كان للماءِ توقٌ إلى النـارِ
فاخترعَ المـوجَ
قد يُصبحُ الموجُ
يوماً .. لـهبْ

٥ -

ربما كان للحبِّ قامتُـهُ
في براءةِ أجسادنا

واختلاطِ الفصولِ وأعضائنا
وظـلالٌ تشدُّ لنا أُذنَـنَا
ثم تَـحنـو .. وتَحنـو
وتُـدْعى العتبْ ..

٦ -

ربما كان للبحر حـلْمٌ بأن يسكن البحرَ
أو قربَـه
هكـذا مثلنا
هكـذا
ويُـحِبْ

٧ -

ربما كان في خطونا سفرٌ
نحو أسرارنا من قديـمٍ
ولكننـا لم نَصِلْها .. لأنَّ الطريقَ تَعِبْ !!

٨ -

ربما كنتُ أدركُ كلَّ الحكايةِ
لـكنني ..
كي أُحِبَّ الحكايـةَ أكـثرَ
هـــا انني أَحتجِـبْ !

الحَفـــل

زهــورٌ
وحشـدُ أغـانٍ
نشيـدٌ
وذاكـرةٌ مـن زمـانٍ قديمٍ
وشمسُ ضحـى السبـتِ مكتـملةْ
يتـيمٌ تأخـرَ
أرملـةٌ
تتقـدمُ سانـدةً أرملـةْ
الـمُغـني

وآيٌ من الـذِّكْرِ
نـايٌ
على طرف القريـةِ المهملةْ
جنـودٌ قُـدامى
معـاركُ
أزمنـةٌ خـاسرةْ
ثلاثون حربـاً على الضوءِ معلنـةٌ
وثلاثـون مثلُ الثلاثينِ في غِمْدِهـا مُضمرةْ
صغـار بألـبسـةِ العيـدِ
خيـلٌ
ببهجـةِ فرسانـها عـامـرةْ
موكبٌ قـــادمٌ من بعيـــدٍ
زغـاريدُ مرفـوعةٌ للسماءِ
هيـاجٌ

رجـالٌ من الظلمـاتِ أطلّـوا
ومن صحفِ الأمسِ والـمحـبرةْ
كلـهم أقبلـوا
التقطـوا صوراً
لعنـوا آخرَ العمرِ والـذاكـرةْ
شـربوا كـأسَ حـلْمٍ قتيـلٍ هنـا
قبـل أن يتقـدم أكـبُرهم
ليقصَ شريطَ الحـريـرِ
ويفتتـحَ الـمـقبرةْ

الدليـــل

تخرجُ الروحُ من طينها نـحوَ أرضٍ
هـي الروحُ والطينُ
والشمـسُ في شـرفات الأصـيلْ
ظلُّهـا شجرٌ فارعٌ يستغيثُ
وخطوتُها مهرةٌ تتفلَّـتُ
مـن كبوةٍ .. وهلالٍ قتيـلْ
... ...
صـحـــراءُ
... ...

كانت بحارُ الرمال إلى الشرقِ منقوعةً بالسرابِ
إلى الغربِ ذائبةً في الرياحِ
بحثْنا عن النجمِ
لكنهُ راحَ يسألنا شاحباً عن سبيلْ
... ...
سبعةٌ .. وثلاثُ نساءٍ وطفلٌ
ولا شيء في اليدِ إلاّ القليلْ
قالَ : من ههنا ...
فمشينا على هَدْيِهِ
قالَ : جُعْتُ ..
بسطْنا لهُ زادَنا فاستراحَ
وكنا هنالكَ من حولهِ غابةً من نخيلْ
... ...
تخبزُ الريحُ أنجمَها في الظهيرةِ

والأرضُ من تحتنا تترمَّـدُ
والشمسُ من فوقنا تَـتَـقَـلَّبُ في نارِها
واللهيبُ نِـصالٌ خرافيـةٌ
جمـرُها معدنٌ ذائـبٌ في الصَّليـلْ

... ...

سنةٌ أورقَ العشبُ فـي لحمـنا
.. انطفـأَ العـشبُ
أَينـعَ حُـلْـمٌ ..
وضلَّ صهـيلْ
ولا حجـراً مهملاً كي نَقـيْـلْ

... ...

خذي قامتي واستريحي قليلاً
أنا طَـلَلٌ فـي هواكِ يـسيلْ

... ...

ولـم يـكُ فيـنا الذي يتهاوى
ويبكي لأنَّ الطريـقَ طويلْ

... ...

كـانَ يُـنـشِـدُ مشتعلاً فـي الظلامِ :
أنا من يُـقَلِّـبُ هذي الـبراري كراحـتـهِ
ثـمَ يـمتدُّ للنجمِ يـسـتلُّـهُ من فضاءاتـهِ
يـمـسحُ الليلَ عن وجهـهِ ويغـني لـه
: يـا جـمـيلْ

... ...

وسرنـا على هدْيِـهِ
قـالَ : جعـتُ
اختَـلَـيْـنَـا بأرواحـنا ..
فذبَحْنـا لـه واحـداً
سـتةٌ ..

وثلاثُ نساءٍ ..
وطفلٌ ..
ويومُ عويلْ
ليلةٌ .. ليلتانِ
هوى
قالَ : جعتُ
ذبحنا لهُ امرأةً
قالَ : جعتُ
وحَدَّقَ في الطفلِ
: آكُلُهُ قبلَ أن يَفْسُدَ الطينُ فيهِ ويكْبُرَ
طفلاً هزيلْ
وسرْنا على هدْيِهِ
... ...
لم يكنْ قد تَبَقَّى سوى اثنينِ

قالَ سأُبْقي عليكَ لتتبعني
ولِتشهَدَ أني وصلتُ
وأني اختتمتُ الرحيلْ ..
وسرْنا ..
ولكنه قالَ : جعتُ
استدارَ إلى جثتي هائجاً
عبرَ ظلِّي النحيلْ
... ...
هكذا
لم يصلْ أحدٌ آخرَ الأمرِ
غيرُ
الدليلْ .

قصائد الديوان

أ . بســم الأم

في حديثها عن عرسها ٩
في حديثها عن يومها ١٢
في حديثها عن غربتها ١٥
في حديثي عن أمثالها ١٩
في حديثها عن دمنا ٢٣
في حديثها عن حلمه ٢٦
في حديثها عن غيابه ٢٩
في حديثها عن أبيها ٣٣
في حديثها عن حبها ٣٨
في حديثي عن غرفتها ٤١
في حديثها مع زوجها ٤٤
في حديثها عن وداعه صبحاً ٤٨
في حديثها عن انتظاره مساء ٥٢
في حديثي عنها ١ ٥٦
في حديثي عن خوفها ٦٢
في حديثها عن حقلهما ٦٦
في حديثها عن أبي ٦٨
في حديثها عن سهراتهما ٧١
في حديثها عن حديثهما ٧٤
في حديثها عن حلمها ٧٧
في..مشاغل الأمهات ٨٢
في حديثها عن حنينها ٨٧
في عتابها له ٩٠
في حديثها عن غيمتها ٩٤
في حديثيَ عنها ٢ ٩٧
في حديثها عن نفسها ١٠١
في حديثيَ عنها ٣ ١٠٤
في حديثها عن وحدتها ١٠٧
في حديثها عن أيامها ١١٠
في حديثهما معاً ١١٤
في حديثها عن نشيدها ١١٧
في حديثيَ عنها ٤ ١٢١
في حديثها عن نذرها ١٢٤

٢ . بســـم الإبن

أعمدة الهواء ١٢٩
السحابة ١٣٩
الزائـر ١٤١
شهيد ١٤٤
العائد ١٤٦
المقـاعد :
نهاية ١ ١٤٨
استراحة ١٤٩
غرباء ١٥٠
نهاية ٢ ١٥١
فراق ١٥٣
شغب ١٥٤
أحزان ١٥٦
حنين أسود ١٥٨
إقامة ١٦٠
خدعة ١٦١
مكيدة ١٦٢
موت ١٦٣
تحذير ١٦٤
الكراسي ١٦٥
احتمالات ١٦٧
الحفل ١٧١
الدليـل ١٧٤

أعمـــال إبراهيـــم نصـــرالله

• الشـــــعر (الطبعات الأولى)

• الخيول على مشارف المدينة 80 ط 2 • المطر في الداخل 82 ط 2 • الحوار الأخير قبل مقتل العصفور بدقائق 84 ط 5 • نعمان يسترد لونه 84 ط 2 • أناشيد الصباح 84 ط 2 • الفتى النهر والجنرال 87 ط 2 • عواصف القلب 89 ط 3 • حطب أخضر 91 ط 2 • فضيحة الثعلب 93 ط 2 • الأعمال الشعرية ـ مجلد 94 • شرفات الخريف 96 • كتاب الموت والموتى 97 • بســم الأم والإبــن 99 .

• الروايـــات (الطبعات الأولى)

• براري الحمى 85 ط 3 • ســردية : الأمواج البرية 88 ط 5 • عَـوْ 90 ط 2 • مجرد 2 فقط 92 ط 2 • طيور الحذر 96 • حارس المدينة الضائعة 98 .

• كتاب يرسمون ـ معرض مشترك لثلاثة كتّاب 93 .

• مشاهد من سيرة عين ـ معرض فوتوغرافي، دارة الفنون 95

• ترجمت براري الحمى إلى الإنجليزية، والحوار الأخير إلى الألمانية، ونشرت مختارات من قصائده بالإنجليزية، الروسية، البولندية، التركية، الفرنسية .

• نال سبع جوائز عن أعماله الشعرية والروائية من بينها:

• جائزة عرار للشعر 91

• جائزة تيسير سبول للرواية 94

• جائزة سلطان العويس للشعر العربي 97

إبراهيـــم نصرالـلـــه

من أعماله الشعرية

الخيول على مشارف المدينة

المطر في الداخل

الحوار الأخير قبل مقتل العصفور بدقائق

نعمان يسترد لونه

الفتى النهر والجنرال

عواصف القلب 3 أجزاء

الأعمال الشعرية ـ مجلد

من أعماله الروائية

براري الـحُمّى

عَـــوْ

مجرد 2 فقط

طيور الحذر

حارس المدينة الضائعة

نال سبع جوائز من بينها:

جائزة عرار الأدبية للشعر 91

جائزة تيسير سبول للرواية 94

جائزة سلطان العويس للشعر العربي 97

بسم الأمّ والابن

إن أول ما يلفت النظر جذريا في قصائد إبراهيم نصر الله أنه قادر منذ البداية على خلق حقائق شعرية جديدة، على صنع متخيل لا يتراءى نظيره إطلاقا في قصيدة سابقة عليه.. وهو بذلك يرد لنا كثيرا من الثقة من أن شعراءنا اليوم لا يسلكون دروبا إبداعية مسدودة، تضيّق من فضاء الشعر، وتحد من مقروئيته، لأنه قادر بامتلاكه لطاقة تجريبية هائلة، على خلق أشكال فنية وعوالم موضوعية تجسد حيوات خارجية لأصوات متشابكة مفعمة بالرغبات المتضاربة والأمل المقموع..

بصيرته مؤلفة من عدة أطراف، حيث يتألف الخيط الواصل بين كل أعمال إبراهيم نصرالله من نسيج متماسك لحمته الموقف الوجودي للإنسان الفلسطيني والعربي بكل تفاصيله ومنحنياته، ويتألف من التواصل العميق مع ايقاعات الحياة الثقافية العربية والإمتصاص الوئيد لعناصرها الإبداعية والفكرية وتجاوزها في الآن ذاته؛ لا يمكن لقصيدة يكتبها مثل هذا الشاعر الآن أن تكتب منذ عشرين عاما، لأنها تستوعب كل المنجز الجمالي الذي حدث في الأعوام العشرين الماضية.

.. ومثلما يحدث مع كبار الشعراء، استطاع إبراهيم نصرالله إبداعياً، أن يخترق صفوف أبناء جيله، وأن يحرق مسافات النمو الجمالي والتقني، وأن يقف في الصف الأول مع كبار الشعراء.

في هذه الأرض المبدعة الخلاقة لقصائده، التي تمثل إنجازاً نوعياً، تؤكد تجربته أن بإمكان الشاعر أن يجدد كثيراً ويظل شاعراً موصولاً بجملة المنجزات الجمالية للفنون كلها.

الدكتور صلاح فضل